المساهمة الجزائريّة البحثيّة في الدّراسات الأدبيّة المقارنة

" ملتقيات جامعة عنابة أنموذجا "

أ.د/ حفيظ ملواني

جامعة البليدة 2 /الجزائر

البريد الإلكتروني: melouani.hafid@Yahoo.com

الملخّص:

تجتهد هذه المحاولة العلمية في إبراز الجُهد الجزائري الحثيث على وقع النموذج العيني المقترح في شأن الدراسات الأدبية المقارنة ،بالنظر إلى القطب المرجعي الجزائري في هذا المجال الحساس ضمن العلاقات الإنسانية والثقافية وهو يقرأ في طبيعة العلاقة القائمة بين الأدب العربي والآداب الأجنبية في نطاق ما أقدمت عليه جامعة عنابة ضمن المؤتمرات التي إنعقدت قُبيل منتصف الثمانينات ؛المعنية بالدراسات الأدبية المقارنة، وهنا أخص تحديدا ما قدّمه جملة من الباحثين الجزائريين المنتمين إلى هذه الجامعة الجزائرية العريقة ضمن أفقين محورين ما تعلق بالمفهوم ضمن إطار الأدب المقارن في نطاق الاصطلاح الأجنبي دون إغفال المنظور العربي وبعض الممارسات التطبيقية الهادفة.

الكلمات المفتاحيّة: الأدب المقارن؛ جامعة عنابة ؛ الأدب العربي المقارن ؛ دراسات مقارنة ؛ ملتقيات جامعة عنابة.

Abstract:

This scientific trial aims to display the constant Algerian effort research dedicated to the compared literature studies, according to the pattern chosen regarding Annaba university as reference in the matter, according to symposia held in middle of the eight's dealing with different themes linked to human and cultural relationships between Arab literature and foreign one, whose notion problematic related to the concept of compared literature on the basis of global view and Arab notion, and with affinity towards the expected and well organized practice.

Key words: *compared literature, Annaba University, compared studies, Annaba university symposia.*

المنارة للاستشارات

مقدّمة:

لا ينبغي أن نضع هذه القراءة على سبيل المفاخَرة الجُزافية، أو من باب التقويم المفتعَل، أو حتى في سياق التعليل المعرفي المجاني، وإنما من أجل أخذ صورة عامة عن طبيعة الجُهد الجزائري المبذول؛ في سياق الدرس المقارن بعيدا كل البعد عن هاجس التنظير المفرِط وقَيد الاشتغال النصي الضيق، كما لن تكون هذه المحاولة العلمية الاستقرائية ذريعة لدحض جهود باحثين جزائريين آخرين ساهموا بفعالية في هذا المجال العلائقي الشائك؛ على قدر تباين الأجيال وتعدّد الاهتمامات؛ عبر مختلف الجامعات المنتشرة على أرض الوطن، وقد يصدُق هذا المنحى لحظة مُواكَبة أطروحات باحثين جزائريين من باب الذكر لا التحديد: عيلان نسيمة – عبد المجيد حنون – مختار نويوات، كلهم ينتمون إلى جامعة عنابة إضافة إلى باحثين عرَب ؛ كانوا ضمن سلك الأساتذة بالجامعة نفسها آنذاك، على نحو الدكتور المرحوم نسيب نشاوي وهو من جنسية سورية، جميعُهم شاركوا في هذا المحفل العلمي الدولي؛ رفقة أسماء لامعة على نحو حسام الخطيب و ريمون طحان و عز الدين المناصرة و بيار برونيل – ميشال باريو، وفي هذا كله ترغيب وتطلع إلى رسم خريطة المثاقفة بأدق تفصيلاتها ضمن حلة عربية راهنة. يجب على المؤلف أن يلتزم بالتوجيهات والإرشادات الموجودة في هذه الوثيقة عند كتابة المقالة، لا يغير حجم الخط أو المسافة بين الأسطر لزيادة أو إدخال مزيد من النصوص.

1- مظاهر العناية معرفيا :

ولعل ما يشير إلى أهمية هذا المنجز هو تأسيس الرابطة العربية للأدب المقارن، وهو ما أشارت إليه مجلة "**أدب ونقد** " المصرية في عددها الخامس والعشرين بتاريخ **01 سبتمبر سنة 1986** عبر ملف عَدَدِها المخصص للأدب المقارن، حيث ورد فيه على وجه التحديد "**وكانت الرابطة قد تأسست في جامعة عنابة بالجزائر سنة 1983، ثم**

المنارة للاستشارات

انعقـد مؤتمرهـا العلمـي الأول بعنابـة أيضـا سـنة 1984"[1] تقتصر العناية بالدرجة الأولى على الملتقى الدولي المؤرخ من 14 -19 ماي من سنة 1983 حيث تناول موضوع الأدب المقارن من منطلق المفهوم الذي يحقق وجود تصور عربي مميّز، إلى جانب الملتقى الآخر المنعقد بتاريخ 8-12 جويلية من سنة 1984؛ الذي انشغل بدوره بمسألة الأدب العربي المقارن من وجهة المصطلح والمنهج، مما أدى إلى معالجة عدة إشكاليات محورية تخصّ مجالات الأدب المقارن:

1- مسألة النشأة، الأدب المقارن ضمن الرقعة الجغرافية العربية مصر، سوريا، لبنان، العراق، الجزائر.
2- البحث في وجه الصلة بين الأدب العربي ومختلف الآداب الأجنبية.
3- صورة العربي في الآداب الأجنبية.
4- صـورة الآخـر في الأدب العـربي هـذا بوجـه عـام، أمـا فيمـا تعلـق بالمشـاركة الجزائريـة أو العربيـة المنتميـة إلى حضـنها الجـامعي؛ فـيمكن تعـدادها بحسـب تواترها التأريخي وفق رزنامة عناوين المداخلات التالية:

*ما تعلق بـ**" أعمال الملتقى الدولي حول الأدب المقارن عند العرب.عنابة من 14 –19 ماي من سنة 1983 "**

	اسم الباحث	عنوان المداخلة
1	نسيمة عيلان (جزائرية)	صور من التشابه بين القصص الشعبي العربي والقصص اليوناني
2	نسيب نشاوي (سوري)	عطيل شكسبير و ديك الجن الحمصي
3	عبد المجيد حنون (جزائري)	أثر الأدب الفرنسي في الأدب الجزائري الحديث ذي التعبير العربي

المنارة للاستشارات

*ما تعلق بـ" **أعمال الملتقى الأول للمقارنين العرب حول موضوع الأدب المقارن عند العرب المصطلح والمنهج. عنابة 8-12 جويلية /تموز من سنة 1984**"

	اسم الباحث	عنوان المداخلة
1	عبد المجيد حنون (جزائري)	محاولة لتحديد مفهوم مصطلح الأدب المقارن
2	نسيمة عيلان (جزائرية)	من أجل مفهوم عربي للأدب المقارن
3	نسيب نشاوي (سوري)	مصطلح الأدب المقارن في المعجمات العربية
4	مختار نويوات (جزائري)	الترجمة عامل أساسي في الأدب المقارن

لقد صرح عبد المجيد حنون بوصفه رئيس الملتقى الدولي الأول وفي الوقت ذاته مدير معهد اللغات والآداب بجامعة عنابة أن الهدف المحوري لهذا الصنف من الملتقيات كان في أساسه يخدم غرضا تعليميا وفي هذا الصدد يقول: « **وكانت فكرة عقد الملتقى حول الأدب المقارن عند العرب تراودني منذ مدة، إذ كثيرا من ما كنت أقرأ في كتب الأدب المقارن ونشرياته الغربية عن أعمال ملتقيات الأدب المقارن وجمعياته في مختلف أنحاء العالم، فأتساءل لم لا يحدث مثل ذلك عند العرب، خصوصا وأن الإمكانيات البشرية والعلمية والمادية لا تعد ولا تحصى فلا أجد جوابا مقنعا** »[2] هذا يدل بأن الباحث الجزائري منشغل برهانات المعرفة المتجددة مع قابلية الانفتاح اتجاه الآخر ليس من زاوية الانبهار والتقليد، بل من أجل وعي نقدي يجعل تكوين الأنا هو المقصد على قدر خصوصية منظومته الثقافية وهذا الصوت يتكرر أيضا على لسان الباحثة نسيمة عيلان، وهي تؤمن بمبدأ الدخول في غمار الحداثة المعرفية بشكل عام وما يتعلق بالأدب المقارن على وجه التحديد عبر مسلك التخلي عن الأهواء **ف "إذا أردنا أن نفهم تراثنا فهما حقا يجعلنا نعتز به غير مغرقين في النزعات القومية المتطرفة والتفاخر الذي قد يعمي بصيرتنا ويجعلنا**

المنارة للاستشارات

مكتوفي الأيد ننتظر أن يضطلع غيرنا بالمهام الموكل إلينا القيام بها"[3] وفي السياق ذاته يقترح علينا الباحث مختار نويوات بالانفتاح المشروط إن صح التعبير إذ يقول: «**لا يستغني أدب عن أدب ولا أمة عن أمة.تلك حقيقة يعرفها الأدب المقارن ويسعى جاهدا لإزالة الحواجز بين اللغات والأفكار، والتقريب بين الشعوب** »[4] إذا فالمطلب المعرفي البعيد عن أي أثر أيديولوجي يعد ضرورة ملحة بالمقابل يحذر الباحث من مغبة "**فقدان شخصيتنا والذوبان في غيرنا والإعجاب المفرط بالآداب الأجنبية ... إن الآفة العظمى أن تشعر الأمة إزاء أخرى بمركب نقص أو مركب استعلاء**"[5] ما يفيد في ذلك أنه من الخُلق العلمي تفادي النرجسية المعرفية والإقرار بمبدأ التوازن بين القطب المنتج والمستقبل للمعرفة على حد سواء. ولعل ثمرة هذه العناية المعرفية ما صدر من الباحث عبد المجيد حنون وهو يثمّن ما تحقق عبر هذين الملتقيين بقوله: «**إن التقاء العشرات وربما المئات من الأساتذة والدارسين العرب لتدارس قضايا الأدب المقارن، بعيدا عن أية خلفية غير علمية لهو الأمثل على إمكانات العرب وهذا ما حدث في عنابة.**

1- **في سنة 1983 (14-19 ماي) وكانت النتيجة ذلك الكتاب القيم الذي جمع أعمال الملتقى.**
2- **في سنة 1984 (8-12 جويلية تموز) وكانت النتيجة تأسيس الرابطة العربية للأدب المقارن وهذا الكتاب الذي جمع أعمال الملتقى والذي أضعه أيها القارئ الكريم بين يديك لتقرأه بتمعن وتصدر فيه رأيك بنزاهة**»[6].

إن من شأن هذه الشواهد النصية أن تبيّن إلى أي درجة اعتنى الباحث الجزائري بقضايا الأدب المقارن، بقدر من الوعي مُتفهِما النسيج العلائقي المتشابك

المنارة للاستشارات

والشائك في الوقت نفسه؛ الذي جمع ويجمع أيضا الأدب العربي ببقية الآداب الأخرى على أساس حضاري ثقافي تاريخي، بصرف النظر عن العوائق والمحفزات مع تخطي حاجز فكرة التأثير والتأثر مع الإصرار على التحرر من هيمنة الفكر التاريخي التسلطي عبر بديل يفسح أفق الحقائق المعرفية دون ضبابية ولا عصبية.

2- المرجعية البحثية المستخدمة:

تعد هذه المرجعية الأساس المتين الذي يجعل الباحث يحيط بمُنطلقه المعرفي بشكل أكثر دقة، ويتيح له الأخذ بمسلك التكامل، والنظر بشمولية إلى الموضوع المعالج مع تعزيز الحياد وعدم السقوط في التكرار المِمِل أو المِخِل، فكل هذه التوصيفات تبدو ظاهرة وغالبة على مساحة هوامش المداخلات المشار إليها، فتبعا لما سبق ؛على ضوء العينة المنتقاة اتجه خيار الباحث إلى توظيف المصدر القرآني ضمن المقام العلمي قبل اللجوء إلى أشكال أخرى من المؤلفات التي تتوزع بدورها على أربعة أصناف بحسب التوزيع ضمن الجدول الموالي:

أ- الأعمال الإبداعية

	المؤلف /المحقق /المترجم	العنوان	دار الطبع
1	توفيق الحكيم	الرباط المقدس	دار مصر للطباعة ط 1 1944
2	ديك الجن /تح أحمد مطلوب وعبد الله الجبوري	الديوان	دار الثقافة بيروت ط 1964
3	نزار قباني	الأعمال الشعرية الكاملة ديوان :الرسم بالكلمات	منشورات نزار قباني بيروت ط 1 1966
4	إسخيلوس تر: لويس عوض	مأساة أوريست (الصافحات)	دار المعارف مصر ط 1968
5	هوميروس /تر:دريني خشبة	الأوديسا	دار الهلال ط1970

المنارة للاستشارات

6	Homère. Trd : Victor Bérard	L'Odyssée	Ed en livre de poche 1974
7	وليم شكسبير تر خليل مطران	عطيل مسرحية	دار المعارف مصر القاهرة ط6 1976
8	/	ألف ليلة و ليلة	المكتبة الثقافية ج 3 بيروت لبنان ط 1979

لقد تمّ توظيف هذه الأعمال الأدبية الرائدة من أجل إثبات طبيعة العلاقة الرابطة بين النص الأدبي العربي والنصوص الأدبية غير العربية مثل النصوص اليونانية في نطاق التركيز على دور العصر العباسي في تحقيق هذا التقارب الأدبي والتواصل الثقافي عبر صورة الشخصية الرحالة المبتدعة العربية **"سندباد البحري"** التي ورد سردها في حكايات ألف ليلة وليلة في مقابل شخصية أودسيوس الملازمة لملحمة هوميروس الموسومة بالأوديسا، لقد عرف هذا البطل الأسطوري مغامرات شديدة الهول في نطاق رحلته البحرية التائهة التي استغرقت ما يقارب عشر سنوات أو أكثر في غضون تبعات حرب طروادة الشهيرة، إلى أن عاد إلى وطنها أتيك؛ إضافة إلى الصورة العلائقية بين النص العربي والأدب الإنجليزي اعتمادا على شخصية الشاعر ديك الجن (عبد السلام بن رغبان بن عبد السلام بن حبيب بن عبد الله بن يزيد بن تميم) وشخصية عطيل الواردة في مسرحية شكسبير؛ حيث اشتركا في مضمار الحب القاتل والغيرة المدمرة، إن معاينة مثل هذه الأعمال ذات النفحة العالمية الرائجة؛ تجعل الباحث المقارن يفهم السلوك الإبداعي من مصدر إنتاجه تاريخيا وجغرافيا وثقافيا في إطار حضاري إنساني ممتد مما يسمح له من التماس النشاط الجمالي في ظل وجود الحس الفُضُولي المتنامي ما يؤدي إلى تنوير الوعي واتساع المِخيال ومُعاينة الفروقات عبر المساحات البينية الأدبية.

المنارة للاستشارات

ب– المؤلفات المتعلقة بالأدب المقارن بلغتها الأصلية والمُترجمة:

عندما تُدرك هذه الحقيقة العلمية، فيُمكن الاطمئنان على مسلك القراءة ضمن وجهها القويم، بعيدا عن الوسائط المضلِّلة ما يجعل مُقارعة الفكرة بأختها أمرا متاحا، وتبيُّن أشكال التلاقح الثقافي والمعرفي من صُلبه، فلا مانع أن يتعامل الباحث المقارن بفكرة التشخيص للحالة الثقافية السائدة من زاوية الوافد أو المصدِر؛ حتى يشكل صورة عامة عن مفاصل موضوعه فيعي طريقة التحرك والانتقاء فتتأكد فعالية الفحص والتمحيص والمقارنة والتحليل اعتمادا على التبويب التالي:

	المؤلف /المحقق /المترجم	العنوان	دار الطبع
1	لاسي أوليري–تر: وهيب كامل	علوم اليونان وسبل انتقالها إلى العرب	مكتبة النهضة المصرية سنة 1962
2	مُحَمَّد غنيمي هلال	الأدب المقارن	مطابع سجل العرب مصر 1970
3	إحسان عباس	ملامح يونانية في الأدب العربي	المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط 1977

وعليه فقد حَاولت هذه المؤلفات على ما يبدو؛ أن تغطي الإطار النظري والجانب الاصطلاحي المتعلق بمفهوم وتوجهات الأدب المقارن على مستوى المصطلح والمنهج، بالنظر إلى شروط البحث وآليات تطبيقه على ضوء قواعد الدراسة المقارنة الفاصلة بين المدرسة الفرنسية التاريخية والمدرسة الأمريكية النصية.

ت– المؤلفات التراثية

ما يمكن أن يحققه حضور التراث في خلفية الباحث المقارن، هو ببساطة تأكيدُ هويتِه وكيانه، إذ تصير قراءتُه قراءة فكر مُبدِع فلايُصاب بالانهيار أو الاستلاب

المنارة للاستشارات

والشعور بالنقصان أمام الثقافة الوافدة، بل ستتقوى لديه دافعيةُ الإنجاز والتغلُّب على كافة أشكال الضغوط ورفع التحديات المعرفية المشروعة، وهذا ما قد يُؤمَلُ تحقيقُه في كنف خيارات المؤلفات المعروضة التالية:

	المؤلف /المحقق /المترجم	العنوان	دار الطبع
1	أبوالفرج الأصفهاني	الأغاني	دار الثقافة بيروت ط 3 سنة 1975 ج14
2	البيروني	تحقيق ما للهند	عالم الكتب بيروت ط 1975
3	صفي الدين الحلي	شرح الكافية البديعية	مجمع اللغة العربية دمشق ط 1982

فقد ساهمت هذه المؤلفات في إضفاء طابع المعرفة الأدبية، ومنها الثقافية؛ مع عنصر الدمج بين الطابع التاريخي بالبعد الجغرافي، بالقدر الذي يحقق قدرا من العنصر الإمتاعي والإقناعي على ضوء العناية بمختلف الأخبار المتعلقة بالشخصيات المبتدعة والمبدعة والأماكن الحضارية الملفتة والقَصص المتواترة بمسلك تشويقي، دون إغفال القضايا الأدبية والبلاغية على حد سواء، ما يعمق الفهم ويوضح الحقيقة المعرفية مقارنة بالحقيقة الفنية.

ث– مؤلفات عامة بلغتها الأصلية والمترجمة (نقد – معاجم– موسوعات)

تستطيع أن تتحدث عن الموسوعية لحظة إدراك الباحث أنه بحاجة إلى المعرفة أكثر مما سبق، فتراه يوسع دائرة الاهتمام بحس لغوي مطلوب وفهم نصي حدق، معتنيا بقضايا الفكر والتاريخ؛ قديما وحديثا، مسترشدا بعُلماء الأمة ومصلحيها، وهذا ما قد يقترحه على وجه التغليب؛ هذا الجدول في تصنيفه التعدادي؛ الذي يصل إلى سبع وعشرين مؤلفا بحسب المنحى التالي:

المنارة للاستشارات

	المؤلف /المحقق /المترجم	العنوان	دار الطبع
1	/	الموسوعة الإسلامية: مادة ألف ليلة و ليلة	د.ت.ط
2	ابن منظور	لسان العرب	دار صادر بيروت د. ت .ط
3	الرازي	مختار الصحاح	دار الكتب العربية د.ت.ط بيروت
4	مُحَمَّد الطمار	تاريخ الأدب الجزائري	ش و ز ش د.ت.ط
5	المطرزي	المغرب في ترتيب المعرب	دار الكتاب العربي بيروت د.ت.ط
6	بول دونان	الأدب الانجليزي	دار الفكر العربي القاهرة ط 1948
7	الفيروز أبادي	القاموس المحيط	مكتبة مصطفى البابي الحلبي ط 2 مصر 1371هـ/1952م
8	مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي	المعجم المفهرس لآيات القرآن	القاهرة طبعة 1378 هـ 1959 م
9	علي عبد الواحد وافي	الأدب اليوناني القديم	دار المعارف مصر 1960
10	Von Grunebaum trd de l'anglais :Odile Mayot	L'islam médiévale	Paris 1962 ch 9.
11	Malek bennabi	Mémoire d'un témoin du siècle	Ena alger 1965
12	مُحَمَّد إسماعيل أدهم	معجم الألفاظ والأعلام القرآنية	دار الفكر القاهرة ط 1968
13	تركي رابح	الشيخ عبد الحميد بن باديس	ش.و.ن.ت الجزائرط1969
14	ابراهيم أنيس و آخرون	المعجم الوسيط	دار المعارف مصر القاهرة ط 1972

المنارة للاستشارات

15	خليل الجر	لاروس معجم عربي	مكتبة لاروس 1973
16	طه حسين	في الأدب الجاهلي	الأعمار الكاملة م .ج 5 بيروت 1973
17	مجدي وهبة	معجم مصطلحات الأدب	مكتبة لبنان بيروت ط 1974
18	شوقي ضيف	العصر العباسي الأول	دار المعارف مصر ط5 1975
19	عبد الله العلايلي	الصحاح في اللغة والعلوم	دار الحضارة العربية بيروت 1975
20	Dejeux .J	La littérature algérienne contemporaine	Ed puf Que sais je paris 1975
21	وليم شكسبير .تر:خليل مطران	مقدمة مسرحية عطيل	دار المعارف مصر ط 6 1976
22	Ghani merad	La littérature algérienne D'expression française	Pj oswald paris 1976
23	جبور عبد النور	المعجم الأدبي	دار العلم للملايين بيروت 1979
24	إسماعيل بن حماد الجوهري	الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية	دار العلم للملايين بيروت طبعة 2 1979
25	سهير القلماوي	ألف ليلة وليلة	مكتبة الدراسات الأدبية دار المعارف مصر ط 4 سنة 1979
26	مجدي وهبة	معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب	مكتبة لبنان بيروت ط 1979
27	مُحَمَّد المهدي بن شغيب	أم الحواضر في الماضي والحاضر	مطبعة البعث قسنطينة 1980

المنارة للاستشارات

لقد اشتغلت هذه المؤلفات بمثابة أداة قرائية لتحليل النصوص وكشف الخصائص الملازمة للنص الأدبي والبيئة الزمانية التي ولد فيها، عبر عدة معالم على نحو: خصوصية الأدب العربي في العصر العباسي، سمات الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية ونشأته التاريخية ؛ مع إشارة إلى أعلام الثقافة الجزائرية من ابن باديس إلى مالك بن نبي، مميزات الأدب الانجليزي، إضافة إلى معاجم تراثية ومعاصرة كان الهدف منها الوقوف عند دلالة مصطلح الأدب المقارن.

3- القضايا المطروقة :

أ- "نسيمة عيلان" وإشكالية التشابه بين القصص الشعبي العربي والقصص اليوناني:

تحاول الباحثة الجزائرية نسيمة عيلان النظر في طبيعة العلاقة القائمة بين السرد العربي القديم وفق النمط الحكائي الشعبي بحسب صورة البطل ضمن المنظور الإبداعي الشعبي العربي وفق نموذج سندباد البحري استنادا إلى حكايات ألف ليلة ولية مقارنة بالسرد الملحمي المتعلق بالبطل اليوناني أوديسيوس تبعا لما أفصح عنه هوميروس ضمن الملحمة الموسومة باسمه (**ملحمة الأوديسا**) وهي حريصة على مبدأ توخي الموضوعية في المعالجة والطرح بحسب تقديرها فبعد أن عرّفت بالمنجزين وتحري الطبعات الملازمة لهما أحاطت بمروية الأحداث لكل من النصين وكرست فكرة التقارب بقولها: «**الأدب العربي لم يعش في عصر من عصوره بمعزل عن آداب الأمم الأخرى سواء التي كانت مجاورة له أو التي تم اتصاله بها بعد اتساع الرقعة الإسلامية وفرض السلطة العربية على كثير من الأمصار ونصوص الأدب العربي تحمل في طياتها من الإشارات والشواهد ما يقوم دليلا على لقائه بآداب أمم أخرى وخاصة منها الآداب الإغريقية**»[7] ما يعني أن همّ الباحثة يتمثل في محاولة إثبات بكافة الطرق وجود الصلة التاريخية بين الحضارتين ومنه بين الثقافتين وما قدمته فاعلية الترجمة من اللغة اليونانية إلى السريانية في تأكيد هذه العلاقة وتقف عند الدافع المعرفي بسبب

المنارة للاستشارات

"ظاهرة التنافس التي انتشرت في البلاد العربية بين أنصار الثقافة الفارسية وأنصار الثقافة اليونانية"[8] مما أسفر عن انتقال العلوم وقضايا الفكر وشؤون السياسة بل حتى الإبداع الأدبي عبر نموذج الشعر اليوناني وفيه تذكر أسماء بارزة من المترجمين على نحو حنين بن اسحق وما ثبت عن اهتمام الفارابي بالثقافة اليونانية الذي قام بتصنيف الشعر عبر كتابه "**جوامع الشعر**" إضافة إلى ما صدر من البيروني وفي ذلك تستند الباحثة إلى أطروحة إحسان عباس في هذا الموضوع حيث قال: «**قد تكون معرفته بالأدب اليوناني عارضة ولكنها في النهاية معرفة دقيقة لارتباطها بالحقائق العلمية بل لعل طبيعة الموضوعات التي عالجها البيروني في كتابيه (تحقيق للهند من مقولة) و(الآثار الباقية عن القرون الخالية) هي التي جعلته ينطلق إلى جذور الأدب اليوناني» إحسان عباس. ملامح يونانية في الأدب العربي.المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ط2 1993**.[9] وعلى إثر ذلك جمعت لنا الباحثة نقاط التقارب بين النصين "**فالموقع في القصتين جزيرة والعمارة في قصة سندباد البحري تقابل القصر في قصة أودسيوس وشخصية سيرسا المخادعة التي تغدر بالغرباء تقابلها شخصية الملك في قصة سندباد وشخصية البطل التأثري يوريلاخوس في أوديسا هوميروس الذي ينجو من سحر سيرسا تقابلها شخصية السندباد البحري في هذه الرحلوة والشراب الذي نتقدمه سيرسا إلى رفاق يوريلاخوس وأوديسيوس والذي أذهب عقولهم وأنساهم ما سلف من أمورهم يقابله الشراب الذي يقدم لرفاق السندباد البحري و يحدث نفس المفعول**"[10] وأمور أخرى تخص تفاصيل الرحلة وفكرة نجاة البطلين من السحرة أما وضع الاختلاف فيظهر في الحكاية العربية التخلي عن الشخصيات الثانوية المشاركة في الرحلة واستبدالها بشخصيات أخرى على عكس ملحمة الأوديسا مع اختلاف بالطبع في معتقد البطلين بين الوثني اليوناني والعربي المسلم فالأول بحسب تصور الباحثة كان لرحلته هدف على خلاف سندباد

المنارة للاستشارات

لم يكن له أي خيار استراتيجي في ذلك أي لا وجود لمقصد واضح لغرض الرحلة في شان اشتغال الحكي فسندباد هو موضوع الحكي بناء على ما ترويه شهرزاد على شهريار أما أوودسيوس فيقوم بنفسه بعملية الحكي إلى الملك "**الكينوس وجلسائه لتعريفهم به**"[11] وفي ختام بحثها كرست مبدأ الانفتاح بفعل فكرة المؤثرات الأجنبية التي سمحت للتراث الأدبي العربي أن يعرف تطورا حكائيا جديدا ومتميزا .

ب- نسيب نشاوي وعلاقة بطل مسرحية شكسبير (عطيل) بالشاعر العربي ديك الجن:

يكشف الباحث السوري في مطلع مداخلته عن موضوعه بشكل صريح يتمثل في عقد مقارنة "**بين الشخصيات والأحداث في مسرحية عطيل لشكسبير وسيرة حياة الشاعر العربي الأكبر ديك الجن الحمصي في الأدب العربي ففي شخصيتي عطيل و ديك الجن تشابه وفي أحداث حياتهما لقاء على بعد ما بينهما من مكان وزمان يناهز ثمانمئة سنة، فقد عاش ديك الجن قبل شكسبير بنحو ثمانية قرون**"[12] هذه الوجهة تنبئ بترسيخ فكرة الشرط التاريخي في ممارسة المقارنة الأدبية التي لا تجمع بين نص وآخر بقدر ما ترتبط بشخصية شاعر مبدع عُرِف بسمات نفسية الغيرة العربية في مقابل شخصية مسرحية ابتدعها الكاتب الانجليزي المسرحي شكسبير التي عرفت باسم عطيل، فما حصل لديك الجن نتيجة حادثة تتعلق بحبه لـ "**فتاة نصرانية اسمها ورد ثم جعلها تعتنق الإسلام وتزوجها، وتصادف أن غاب ديك الجن عن بيته بعض الوقت، فلما عاد سمع من أفواه الناس ما يسيء إلى سمعة زوجته وعفتها، وربما كان في الأمر مؤامرة على الزوجة المسكينة، فما كان من ديك الجن إلا أن ضربها بسيفه فقتلها، ولما أفاق من غضبته ندم على فعلته وأخذ يبكيها بكاء مرا تارة وتارة أخرى يخلط البكاء والرثاء بوجوب الثأر منها والانتقام لشرفه وعرضه وهناك رواية أخرى تقول إن المقتولة هي جاريته دنيا التي اتهمها في غلامه وصيف**"[13] ويبدو أن الكاتب المسرحي شكسبير قد اطلع على

المنارة للاستشارات

الحادثة بطريقة أو أخرى هذا ما يدلي به الباحث نسيب نشاوي بقوله: «**لقد وجدت تشابها في الأحداث والشخصيات بين حياة ديك الجن الحمصي التي رسمها الأدب العربي على النحو الذي أشرت إليه وبين مسرحية عطيل لشكسبير حتى ذهب بي الظن إلى أن شكسبير اطلع على حياة ديك الجن من خلال المصادر اللاتينية التي نقلت الآداب العربية إلى أوروبا** »[14] والعلّة في ذلك أن عطيل (بطل المسرحية) هو الآخر فُتِن بالغيرة القاتلة، فهو ذاك الرجل المغربي الشهم الذي حظي بالتقدير لدى حكام البندقية ونبلائها "**لشجاعته وعبقريته العسكرية وقد أحبته سيدة فاضلة رائعة الجمال اسمها دزديمونة (ديدمونة) لشجاعته تلك ومروءته فبادلها الحب وتزوجها**"[15] هذه السعادة لم تدم طويلا عندما تدّخل براباتنيو والد ديدمونة مُتهِما عطيل بلجوئه إلى السحر حتى يستولي على قلبها فتصير متمرّدة على أسرتها إلى جانب الشخصية المنافسة الشريرة ياجو وهو حامل علم عطيل الذي سعى بمكره الضرر بعلاقة الزوجين فنسج على حد تعبير الباحث الجزائري **نسيب نشاوي "قصة زائفة رمى فيها ديدمونة بالزنى وأنها عاشرت كاسيو ملازم عطيل وصديقة وشخصية ياجو هنا تقارن بشخصية أبي الطيب (ابن عم ديك الجن) في قصة ديك الجن وكلاهما أوقع بالزوجة وصنع حولها قصة زنى مزيفة**"[16] وفي نهاية المطاف كانت الخاتمة المؤلمة بمبرر المنديل قرينة الجريمة المصطنعة هو خنق عطيل زوجته إلى حدّ الموت ولعل من المفيد الاستعانة برأي الناقد الانجليزي الفذ ألا وهو آس برادلي [1851-1935] (**Andrew Cecil Bradley**)] بقوله: «**لا شك أنه لا يستطيع أن يتحمل فكرة أن رجلا آخر يمتلك المرأة التي يعشقها، ولا شك أن حس المهانة والرغبة المفاجئة في الانتقام كليهما أحيانا في منتهى العنف وهذه هي بالضبط مشاعر الغيرة .غير أن هذه ليست المنبع الأعمق أو الأكبر لمعاناة عطيل. فالمنبع هو تحطم إيمانه وحبه**»[17] وخلاصة هذا الباحث ترى بأن البطلين

المنارة للاستشارات

يشتركان "**في الطباع والأخلاق والغيرة والتهور أحبا فتزوجا ثم قتلا**"[18]؛ بالرغم من أنه قد وسَّع دائرة اهتمامه إلى الأدب العربي وسلط نظرته على فكرة الخيانة المرتبطة بالحبيبة الزوجة مع توقع رد فعل البطل على وقع الغيرة الدفينة في معقل ذاته، وهذا أمر لا يبتعد عن سياق الثقافة والتقاليد السائدة في واقع المجتمعات العربية ككل.

ت– "عبد المجيد حنون" وقضايا تأثير الأدب الفرنسي في الأدب الجزائري المكتوب باللغة العربية:

يطرح الباحث الجامعي عبد المجيد حنون قضية في غاية الأهمية تصبُّ في جوهر الانتفاضة على العقلية النقدية النمطية التي تحاول من أن تجعل الأدب الجزائري إما في حالة الانغلاق والعزلة، أو في حالة التبعية والتقليد الأعمى فبهذا التشخيص لك أن تنتظر من أي دارس للأدب الجزائري؛ أن يراهن على خيارين؛ وهو يُقْدِم على توصيف الأدب الجزائري، فإن تحدث عنه من منطلق ذلك الأدب المكتوب باللغة الفرنسية، فيتحتم الإصرار على فكرة تفيد بأن بنيته الحكائية قائمة على تبعية سردية خالصة صنعها الأدب الفرنسي، أما عندما يتم تناوُل الأدب المكتوب باللغة العربية فتجده يغطيه بغطاء الحركة الإصلاحية الدينية بالنظر إلى جهود جمعية العلماء المسلمين بريادة العلامة المرحوم ابن باديس دون أن يفكِّر في إمكانية تجلي الخيار الأول مع أساليب الكتابة الأدبية المرقونة باللغة العربية الفصيحة لأن الحقيقة المعرفية والتاريخية تفند هذا الإدعاء غير المشروع، فهناك عدة مثقفين جزائريين باعتبارهم أعضاء فاعلين ضمن جمعية العلماء أتقنوا اللغة الفرنسية وأخذوا من ثقافتها وعلومها وتأكيدا لهذا المنحيعلل عبد المجيد حنون بقوله :«**فإذا علمنا أن الرعيل الأول من أساتذة هذه المدارس من أمثال عبد القادر المجاوي وعبد الحليم بن سماية والمولد بن موهوب وغيرهم كانوا جميعا دعاة إصلاح ورجال أدب مزدوجي اللغة**»[19]

كما يعزز عبد المجيد حنون هذا التوجه وهو يتعرض إلى رومانسية الشاعر الأمين

المنارة للاستشارات

العمـودي حيـث كـان يشـغل منصـب كاتـب عـام لجمعيـة العلمـاء المسـلمين ودعـوة الشاعر مُحَمَّد الصالح خبشاش إلى سفور المرأة وقصص كل من مُحَمَّد العابد الجلالي وأحمد رضـا حوحـو المتـأثر بأعمـال فيكتـور هيجـو[20] وفي نهايـة المطـاف يتوصـل إلى قناعـة مفادها أن الثقافة الفرنسية في عمومها وأدبها على وجه الخصوص؛ كان له المفعول في تشكيل الأدب الجزائري الحديث المكتوب باللغة العربية.

4- نظرة الباحث الجزائري إلى مفهوم الأدب المقارن:

عندما تعرضت الباحثة نسيمة عيلان إلى الأدب المقارن ركزت على أنه "**منهج لدراسـة الأدب**"[21] يأتي تأسيسـه في القـرن 19 مـن قبيـل تأسـيس المدرسـة التاريخيـة الفرنسية التي وضعت شرط الاتصال الثقافي والاختلاف اللغوي قاعدة محورية لأية دراسـة أدبيـة مقارنـة جـادة في نظرهـا غـير أن بـوادر القصـور ظهـرت بسـبب صـعوبة التوفيق بين المطلب القومي والبعد العالمي الذي ينشده هذا الصنف من الدراسات مما صعب وضع مفهوم مستقر لما يمكن أن يعنيه مصطلح الأدب المقارن وهذا ما يبرر قـدرة المدرسـة الأمريكيـة علـى تجـاوز هـذا العـائق عنـدما خفّفـت مـن وطـأة إثبـات الاتصـالات التاريخيـة بظهورهـا في منتصـف القـرن 20 فصـار الأدب المقـارن حينهـا عبارة عن دراسة "**بين الآداب من جهة و المجالات المعرفية الأخرى من جهة ثانية أو مجالات التعبير الإنساني الأخرى**"[22] وهذا لا يعني حسب الباحثة موت المدرسة الفرنسية بـل أدى إلى اسـتفحال إشـكالية جديـدة تتمثـل بالنسـبة للباحـث الأمريكـي صعوبة التمييز بين الأدب العام والأدب المقارن كما تطرح الباحثة فكرة التلقي العربي للأدب المقارن في ظروف قطرية خاصة فهناك جامعة عربية طبقت المدرسة الفرنسية وأخرى المدرسـة الأمريكيـة والبقيـة توسـطت بـين الحـالتين ولعـل الإشـكال في المنظـور العربي بالدرجة الأولى يركز على مسألة كيف ينظر الباحث العربي المشتغل بالأدب

المنارة للاستشارات

المقارن إلى تراثه مقارنة بالتراث العالمي ؟ وهل توجد رؤية عربية خاصة إزاء هذا المجال البحثي الوافد في ظل مقولة الصراع الحضاري ؟.[23]

الخيار الذي أقدم عليه نسيب نشاوي بهويته السورية وثقافته الجزائرية هو تقديم قراءة مُعجمية عربية لمصطلح الأدب المقارن حيث كانت في البداية تراثية انطلاقا من مادة كلمة قرن باعتبارها الجذر اللغوي الذي يقبل التحوّل إلى صيغة المقارنة على وزن المفاعلة أو صيغة المقارِن على وزن اسم فاعل وصولا إلى صيغة المقارن على وزن اسم مفعول، فكل هذه الصيغ قد تفرض بحسبه إمكانية حصول مقارنة شيئين أو أكثر على وجه الضرورة؛ حيث تتحقق في حالة توفر شرطين: شرط التشابه بمعنى الانتماء إلى نفس الجنس فتقارن بين ثمرتين –بعيرين– بيتين إضافة إلى شرط آخر يكفل التطابق أو التقارب بمعنى هناك توحيد في غاية ما تربط بينهما، ولذلك ترى الباحث نسيب نشاوي يوضح الأمر اعتمادا على الجوهري صاحب معجم الصحاح الذي ينقل عنه بقوله: «**رجل مقارن، فسره بأن معه سيفا ونبلا وهما عدة من السلاح وهذه هي القرينة فحمل السيف والنبل له غاية واحدة**»[24] يفهم من ذلك جواز المقارن بين سلاحين رغم اختلافهما في المكون الصناعي غير أنهما يشتركان في هدف وظيفي واحد وهما باعتبارهما سلاحين لكل خاصية يتفرّد بها وحتى لانفصّل في الأمر أكثر نتجه مع الباحث إلى المعاجم الحديثة فيذكر أنه تمّ الإفصاح عن مصطلح الأدب المقارن سنة 1962 دون توضيح في المدلول عبر المعجم الوسيط الصادر عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة فورد منه هذه المقولة: «**قارن بين الشيئين أو الأشياء وازن بينهما فهو مُقارِن ويقال الأدب المقارن والتشريع المقارن**»[25] أما أول تعريف يهتم بالمفهوم باعتباره فنا وليس علما في إطار الصلات بين الآداب المختلفة عبر مستويين مركزيين تبعا لما صدر عن مجدي وهبة عبر مُعجمه الموسوم بـ "معجم مصطلحات الأدب" (انجليزي–فرنسي عربي) مفاده: «

المنارة للاستشارات

1- مستوى المقارنة بين آداب مجوعة لغوية واحدة أو مجموعات لغوية متعددة

2- مستوى التأثيرات الأدبية»[26] كما أورد تعاريف أخرى في مجملها استقرت على هذا التوجه الاصطلاحي الذي اعتبره سندا معرفيا حقيقيا لبلورة أية نظرية عربية خالصة تضبط مفهوم الأدب المقارن بخصوصية ثقافية عربية مميزة، كما يعالج الباحث الجزائري مختار نويوات من زاوية أخرى أهمية الترجمة في توثيق الروابط بين الآداب المختلفة من الناحية اللغوية، فبعد إقراره بمجهود الترجمة على صعيد النتاج التراثي وانفتاح الثقافة العربية أمام حضارات عريقة من اليونان إلى الهند إلى الصين فالفُرس، راح ينسِب مدلول الريادة في الفعل الترجمي إلى جهود ابن نديم فتراه يصفه باعتباره رائدا "**من رواد الأدب المقارن وإن كان المصطلح مجهولا آنذاك وأن نجد في كتابه الفهرست بذورا صالحة لهذا الفن؟ أدرك هذا المفكر عالمية الأدب والعلوم والحضارة وأعطانا نموذجا من تأثر الأمم وتأثيرها**"[27] كما ينوّه بالجهد الفلسفي الناجم عن إسهامات المفكر زكي نجيب محمود ضمن أعلام الفلسفة الحديثة كليبنتز وديكارت و سبينوزا و نيتشه ومساهمة النقاد العرب من أمثال أحمد أمين و فرح أنطون وغيرهم في الدعوة إلى"**التجديد في الأدب وينقلون نماذج من الأدب الفرنسي أو الإنجليزي ومنهم من يُعنى بالأدب الألماني أو البلجيكي أو الروسي أو الهندي أو الصيني أو الياباني بالنقل المباشر وغير المباشر وأهم من حظيت آثاره بالترجمة شكسبير و بيرون و جوته و تشيكوف و طاغور و إقبال**"[28]، كما وقف مختار نويوات في طبيعة الصعوبات التي تواجه المترجمين وبشكل ملِّح في ترجمة النصوص الأدبية نثرا وشعرا، مما يستدعي التوفيق بين مطلب المعنى ومستحق البناء الفني أسلوبيا بالدرجة الأولى، ليخلص في نهاية مداخلته إلى نتيجة مفادها "**لا يستغني أدب عن أدب ولا أمة عن أمة. تلك حقيقة يعرفها الأدب المقارن ويسعى جاهدا لإزالة الحواجز بين اللغات والأفكار والتقريب بين الشعوب وهنا تكمن الصعوبة**

المنارة للاستشارات

لأن الحضارات متباينة والعادات متضاربة والأذواق مختلفة، وفنون التعبير متباعدة. إلا أن الأمر غير مستحيل. إنما يتطلب المعاناة والصبر عليها"[29]، فهذا يوضّح أهمية الانشغال بفعل الترجمة بالقدر الذي يحقق الوعي بالمعرفة الأدبية المقارنة بين الثقافة المتأصلة والثقافة الواردة.

خاتمة:

كل هذه القراءات تكشف عن المدى العلمي الذي يتصف به الباحث الجزائري وهو يفتح سجال المعرفة بين فضائل التراث ورهان الحداثة ضمن بحوث الأدب المقارن الملازمة لعهد الثمانينات في الجامعة الجزائرية، التي يغمرها هاجس التنظير، دون أن تفرّط في حيثيات النشاط النصي؛ حيث أراها بداية مُوَفقة، ولعلها كانت شعلة البداية لإسهامات جزائرية أخرى أتت من بعدها، لا يسع المقام العلمي الآني الإفصاح عنها.

المنارة للاستشارات

الهـوامـش:

1- أمينة رشيد.سيد البحراوي. مجلة "أدب ونقد" ع 25. 1 سبتمبر 1986. مصر. ص63.

2- عبد المجيد حنون. المقدمة. هذا الملتقى. أعمال الملتقى الدولي حول الأدب المقارن عند العرب. عنابة 14-19 ماي 1983. ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون الجزائر. ط 1984. ص 5.

3- نسيمة عيلان.صور التشابه بين القصص الشعبي العربي والقصص اليوناني. المصدر نفسه. ص101.

4- مختار نويوات. الترجمة عامل أساسي في الأدب المقارن. أعمال الملتقى الأول للمقارنين العرب حول موضوع الأدب المقارن عند العرب المصطلح والمنهج. عنابة من 8 إلى 12 جويلية تموز 1984. ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون الجزائر. ط 1991. ص 160.

5- المصدر نفسه. الصفحة نفسها.

6- عبد المجيد حنون. مقدمة. أعمال الملتقى الدولي حول الأدب المقارن عند العرب (عنابة 14-19 ماي 1983). ص 6.

7- المصدر نفسه. ص 107.

8- المصدر نفسه. ص 108.

9- إحسان عباس. ملامح يونانية في الأدب العربي. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 1993. ص 34

10- نسيمة عيلان. صور التشابه بين القصص الشعبي العربي والقصص اليوناني. أعمال الملتقى الدولي حول الأدب المقارن عند العرب (عنابة 14-19 ماي 1983). ص 112-113.

11- المصدر نفسه. ص 116.

12- نسيب نشاوي. عطيل شكسبير و ديك الجن الحمصي. المصدر نفسه. ص 163.

13- مصطفى الشكعة. الشعر والشعراء في العصر العباسي. دار العلم للملايين بيروت ط 6 سنة 1986. ص 582

14- نسيب نشاوي. عطيل شكسبير و ديك الجن الحمصي. ص 173.

المنارة للاستشارات

15- وليام شكسبير: المآسي الكبرى. تعريب جبرا إبراهيم جبرا. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط 2، 2000. ص 384.

16- نسيب نشاوي. عطيل شكسبير و ديك الجن الحمصي. أعمال الملتقى الدولي حول الأدب المقارن عند العرب (عنابة 14-19 ماي 1983). ص 175-176.

17- نقلا عن ترجمة جبرا إبراهيم جبرا ضمن مؤلف وليام شكسبير: المآسي الكبرى ص408.

18- نسيب نشاوي. عطيل شكسبير و ديك الجن الحمصي. أعمال الملتقى الدولي حول الأدب المقارن عند العرب (عنابة 14-19 ماي 1983). ص 180.

19- عبد المجيد حنون. أثر الأدب الفرنسي في الأدب الجزائري الحديث ذي التعبير العربي. أعمال الملتقى الدولي حول الأدب المقارن عند العرب (عنابة 14-19 ماي 1983). ص231.

20- ينظر . المصدر نفسه. ص 232

21- نسيمة عيلان. من أجل مفهوم عربي للأدب المقارن. أعمال الملتقى الأول للمقارنين العرب حول موضوع الأدب المقارن عند العرب المصطلح والمنهج. عنابة من 8 إلى 12 جويلية تموز 1984. ص 41.

22- المصدر نفسه، ص 42.

23- ينظر . المصدر نفسه، ص 44-45.

24- نسيب نشاوي. مصطلح الأدب المقارن في المعجمات العربية. أعمال الملتقى الأول للمقارنين العرب حول موضوع الأدب المقارن عند العرب. ص 103.

25- المصدر نفسه، ص 110.

26- المصدر نفسه، الصفحة نفسها .

27- مختار نويوات. الترجمة عامل أساسي في الأدب المقارن. أعمال الملتقى الأول للمقارنين العرب حول موضوع الأدب المقارن عند العرب. ص 152 .

28- المصدر نفسه. ص 154.

29- المصدر نفسه. ص 160.

المنارة للاستشارات